مجلة الشهاب • المجلد: 10، العدد: 02 (2024م) • ص ص 503 - 522
(ISSN: 2477-9954, EISSN: 2602-5485)
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/391

موقف سيد القمني من مرويات غزوة بدر الكبرى من خلال كتابه: "حروب دولة الرسول"

Sayyid al- Qimni's Position on the Narratives of the Great Conquest of Badr Through his Book The Wars of the Messenger's State

رياض مخلوف *
مخبر إسهامات علماء الجزائر في إثراء العلوم الإسلامية
جامعة الوادي (الجزائر)
Mekhlouf-riyad@univ-eloued.dz

محمد رمضاني
مخبر إسهامات علماء الجزائر في إثراء العلوم الإسلامية
جامعة الوادي (الجزائر)
ramdani-mohamed@univ-eloued.dz

تاريخ الاستلام: 2024/03/03	تاريخ القبول: 2024/05/16	تاريخ النشر: 2024/07/15

****

ملخص:

تمثل هذه الدراسة بعض تجليات الخطاب الحداثي المرتبطة بموضوع السيرة النبوية وغزوات الرسول ﷺ تحديدا، حيث تناولت آراء سيد القمني في أحداث غزوة بدر الكبرى، التي وردت في كتابه "حروب دولة الرسول"؛ فكشفت هذه الدراسة وأكدت على موقف سيد القمني العام من النبوة، وأنها اللبنة الأخيرة ضمن مشروع بناء الدولة القرشية الهاشمية في ضوء ما يصفه بالإفراز الطبيعي والتطور الحتمي؛ وبيّنت رأي القمني من دوافع هذه الغزوة والتي حصرها في الأغراض المادية البحتة، وأوضحت كيفية تعامله مع الخوارق والإعانات الإلهية، المبني على الإنكار التام لمثل هذا النوع من المشاهد؛ كما تعرضت أيضا لبعض النتائج التي توصل إليها سيد القمني، والتي أسرف من خلالها في حق سيد الخلق وصحابته الكرام، مع ذكر ما أمكن من الأدوات والوسائل-العلمية والمنهجية- التي وظفها سيد القمني في سبيل تحقيق هدفه المنشود.

الكلمات المفتاحية: سيد القمني؛ غزوة بدر الكبرى؛ موقف؛ السيرة النبوية؛ دولة الرسول.

Abstract :

This study represents some of the manifestations of the modernist discourse that is pertinent to the prophetic biography and the conquests of the Messenger (peace and blessings of Allaah be upon him), in particular. As such, it dealt with the views of Sayyid al-Qimni in the events of the great conquest of Badr, which appeared in his book "Wars of the State of the Messenger". This study revealed and emphasized Sayyid al-Qimni 's general position on prophecy, and that it is the last building block within the project of establishing the Hashemite Quranic State in the light of what he describes as natural secretion and inevitable development. The present research demonstrated al-Qimni's standpoint as regards the motives of this conquest, which he limited to purely material purposes, and explained how he dealt

with the supernatural and divine aids, based on the ultimate denial of any sort of such scenes. Further, the study accounted for some of the results reached by Sayyid al-Qimni, in which he showed irreverence for the master of all creatures and his esteemed companions, along with mentioning the tools and means- scientific and methodological- that he deployed in order to attain his desired goal.
Keywords: Sayyid al-Qimni; great conquest of Badr; position; prophetic biography; state of the Messenger.

1. مقدمة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه، وبعد:

فقد تعرضت السنة النبوية في العصر الحديث إلى حملات عدائية دؤوبة، كانت هي الأشد والأعنف عبر تاريخها، تزامنت مع عصور الانفتاح والتطور، والتبجح بالمعرفة والتحضر، حيث أوقد فتيلها المستشرقون الذين لم يدخروا جهدا في تبييت المكائد وقذف الشبهات. ومما ساعد في تمكين هذه الغارات وعملها المسموم في جسم الأمّة الإسلامية، احتضانها من بعض أبناء الأمّة، المولعين بهالة الحضارة وصولة المدنية، فكانوا سندا لأعداء الملة والدين، لتمرير المخططات وبث الشكوك والافتراءات، تحت مظلة التجديد والتنوير، أو إعادة الصياغة للدين والتراث بفهم جديد يواكب متطلبات العصر ويساير معطيات الواقع.

ومن أولئك الذين نذروا حياتهم في سبيل الاستنارة والسعي نحو المثل العليا -زعموا-، المفكر المصري سيد محمود القمني، والذي أحدث ضجة كبيرة بلسانه الجريء عبر الشاشات، وبقلمه السيال عبر المجلات وسلسلة من المؤلفات التي ناهزت العشرين مؤلفا. وكان من بواكير هذه الأعمال كتابه المسمى "حروب دولة الرسول" الذي تعرض فيه لذكر غزواته ﷺ مع التعليق على جلّ أحداثها وملابساتها، وقد حظيت غزوة بدر بالقسط الأكبر من هذه العملية، حيث استغرقت حوالي ثلث الجزء الأول من الكتاب، لذلك رأيت من الأهمية بمكان أن نتطرق لهذه الآراء بالدراسة تحليلا ونقدا؛ بغية معرفة موقف القمني من وقائع هذه الغزوة التي هي لبنة أولى في بناء الدولة الإسلامية، ومحطة هامة، غيرت أحداثها مجرى التاريخ.

1.1الإشكالية

لقد اشتملت غزوة بدر على أحداث كثيرة سجلتها جل كتب التراث، بدءا بالصحاح ودواوين السنة، إلى كتب الأخبار والسير، فمصنفات التاريخ... وغالب تلك الأحداث من المشهور المستفيض الذي لا نزاع فيه بين الأمة؛ لكن سيد القمني وفي سياق قراءته الحداثية للتراث خالف هذا الواقع الثابت؛ فألقى بآرائه محللا وناقد وموجها لأحداثها، في منهج علمي ورؤية فكرية خاصة، وهذا ما أثار فيّ إشكالا رئيسا مُفاده: ما موقف سيد القمني من وقائع وأحداث غزوة بدر الكبرى؟ ويندرج تحت هذا الإشكال أسئلة فرعية، رأيت أن تكون في نقاط كما يلي:

- ما موقف سيد القمني من الأسباب التي انبثقت منها غزوة بدر الكبرى؟

- ما موقف سيد القمني من المعجزات والإعانات الإلهية التي كان مسرحها غزوة بدر؟

- ما موقف سيد القمني من نتائج غزوة بدر وعلاقتها بمشروع بناء الدولة الإسلامية؟

- ما هي الأدوات والوسائل التي وظفها سيد القمني في معالجته لمجريات هذه الغزوة، وما منهجه العام في ذلك؟

2.1 أهمية البحث: تتمحور أهمية هذا البحث في النقاط الآتية:

- بيان الشبهات المعاصرة والدعاوى المتهافتة في جناب السنة عموما، والسيرة والنبوة خصوصا، والرد عليها.

- الحفاظ على أصالة وصفاء المصدر التشريعي الثاني، وتثبيت مكانته الراسخة في الأمة والتاريخ.

- كشف أصحاب الأفكار الدخيلة وحقيقة مشاريعهم ومخططاتهم القائمة على هدم الثوابت والتشكيك في المسلمات والقواطع، وبيان زيف دعوى التجديد أو الفهم الصحيح للدين.

3.1 الدراسات السابقة:

لم أقف حسب اطلاعي على دراسة أو بحث بالصيغة المطروحة، ولكن توجد بعض الدارسات العامة المتعلقة بموضوع البحث نذكر منها:

- موقف المستشرق منتقمري وات من غزوات الرسول ﷺ من خلال كتابه "محمد في المدينة، لعمر بن مساعد الشريوفي (رسالة ماجستير)، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية- المملكة العربية السعودية، 1415هـ-1416هـ.
- موقف الاستشراق من السنة والسيرة النبوية، د أكرم ضياء العمري، مجلة مركز بحوث السنة والسيرة، العدد 8، 1415هـ/ 1995م.
- الاستشراق في السيرة النبوية، عبد الله محمد الأمين (رسالة ماجستير)، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1، 1417هـ/1997م.

4.1 أهداف البحث: وتتلخص كالآتي:

- معرفة الموقف الحقيقي لسيد القمني إزاء أحداث أحد أكبر المشاهد وأشهرها في السيرة النبوية، وهو غزوة بدر الكبرى.
- الوقوف على المسالك التي انتهجها سيد القمني في قراءته وتحليله وحكمه على مجريات الواقعة وملابساتها، مع تحديد الآليات والوسائل الموظفة إبّان ذلك.
- التأكيد على المنطلقات والأهداف المشتركة للمشروع العلماني الحداثي في الجملة، ومدى مساهمة سيد القمني في هذا المشروع.

5.1 منهج البحث: قد اشتمل هذا البحث على نمطين هما:

- المنهج الوصفي: وظهر جليا من خلال عرض أهم المواقف التي تبناها سيد القمني تجاه أحداث غزوة بدر، عرضا دقيقا على قدر الإمكان.
- المنهج التحليلي: القائم على استقراء المادة الأولية للبحث وجمعها، ثم تصنيفها وتحليلها، ثم النقد والاستنباط، وهذا ما سألتزمه في جل ورقات بحثي هذا.

6.1 منهجية البحث: وقد تجلت في الخطوات التالية:

1. اعتمدت على طبعة كتاب حروب دولة الرسول التي نشرتها مؤسسة هنداوي بالمملكة المتحدة.
2. التوطئة للعناصر قبل الولوج في صلبها حسب الحاجة.
3. انتقاء أهم وأبرز المواقف المتخذة من طرف القمني تجاه بعض الأحداث المشهورة في غزوة بدر، وتذييلها بالتحليل والنقد في ضوء النقل والعقل.
4. الاقتصار على بعض الأمثلة لكل عنصر، مع اختيار أوضحها وأدلّها على المراد.
5. تخريج الأحاديث من مصادره الأصلية، فإن كان في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بذلك، وإلا عزوت إلى ما تيسر من باقي كتب السنة كالسنن الأربعة، مع إيلائها بحكم النقاد متى دعت الحاجة إلى ذلك.
6. عزو الروايات التي لم تذكرها دواوين السنة إلى مصادرها من كتب السير والأخبار، وبيان درجتها من كلام المحققين.
7. توثيق المصدر عند ذكره لأول مرة بذكر اسم المؤلف ثم اسم الكتاب ثم الجزء فالصفحة، وأترك باقي معلومات النشر إلى قائمة المصادر.

7.1 خطة البحث:

يتكون هذا البحث من مقدمة، تضمنت تمهيدا، فإشكالية الموضوع، فالأهمية، فالدراسات السابقة، فالأهداف والمنهج، وانتهاء بمنهجية البحث. وقد ضم عنوانين أساسيين، الأول: التعريف بسيد القمني تعريفا مختصرا وكتابه حروب دولة الرسول؛ والثاني: موقف سيد القمني من أحداث غزوة بدر، والذي تفرع إلى ثلاثة عناصر، الأول: موقف سيد القمني من الأسباب التي انبثقت منها غزوة بدر، الثاني: موقف سيد القمني من المعجزات والإعانات الإلهية الواقعة في غزوة بدر، الثالث: موقف سيد القمني من نتائج غزوة بدر. ثم كلّلت البحث بخاتمة، ذكرت فيها أهم النتائج المستنبطة مشفوعة ببعض التوصيات.

2. التعريف بسيد القمني باختصار[1] :

1.2. مولده ونشأته ودرجته العلمية:

سيد محمود القمني كاتب علماني مصري من مواليد 13 مارس 1947 بمدينة الواسطى في محافظة بني سويف، والقمني نسبة إلى مسقط رأس عائلته وهي قرية قِمَن العروس، بكسر القاف وفتح الميم كما ينطقها أهلها، تلقى تعليمه في مراحل الدراسة المعتادة حتى التحق بجامعة عين شمس، وتحصل فيها على البكالوريوس في الفلسفة 1969 م. وادعى الحصول على شهادة الدكتوراه التي شكك كثيرون في حصوله عليها، حتى أعلن شخصيا أنه تعرض للاحتيال وأنه ضحية لإحدى الجامعات الأمريكية الوهمية، وذلك لصعوبة التحقق من المعلومات في ذلك الوقت، لانعدام وسائل الاتصال والأنترنت مثل ما هي عليه اليوم[2].

2.2. أعماله ووظائفه:

جاء في الموسوعة الحرة ويكيبيديا كلام مفاده أن الناس قد اختلفوا في تصنيف سيد القمني، فمنهم من يعده باحثا في مجال التاريخ الإسلامي، ومنهم من يعتبره أحد أهم المناوئين لرجال الدين والسياسة، ولكن القمني نفسه يصرح في إحدى المقابلات الصحفية المرئية بأنه من أتباع الفكر الإعتزالي.

اشتغل في ميدان الكتابة، فكتب في مجلة روز اليوسف وفي صحيفة وطني المصرية وغيرها، بالإضافة إلى مجلات عالمية مثل صحيفة "ميدل إيست تايمز"، كما استضيف إعلاميا في عدة قنوات فضائية كالحرة والفضائية المصرية والجزيرة القطرية... وحرر مجموعة معتبرة من الكتب، منها ما هو تأليف محض، ومنها ما هو مقالات مجموعة.

3.2 مؤلفاته: قد ربت عن العشرين مؤلفا، وهي كالآتي:

- إسرائيل
- الإسرائيليات
- الأسطورة والتراث،
- الإسلاميات
- انتكاسة المسلمين إلى الوثنية
- أهل الدين والديمقراطية
- الثورة التاريخ التضليل
- الجماعات الإسلامية رؤية من الداخل
- الحجاب وقمة الـ 17.

---

1 هذه الترجمة مستفادة من:https://ar.wikipedia.org/ و https://tarhuni.net/6119، وكل منهما تصفحا يوم: 2023/06/12.

2ينظر: موقع https://www.almasryalyoum.com/news/details/61168 ، تصفح يوم: 2023/10/16.

- حروب دولة الرسول
- الحزب الهاشمي وتأسيس الدولة الإسلامية
- الدولة الإسلامية للخلف در
- الدولة الإسلامية والخراب العاجل
- رب الثورة... أوزويريس
- رب الزمان
- السؤال الآخر
- شكرا بن لادن
- صحوتنا لا بارك الله فيها
- العرب قبل الإسلام
- الفاشيون والوطن
- قصة الخلق
- مدخل إلى فهم دور الميثولوجيا التوراتية
- النبي إبراهيم والتاريخ المجهول
- النبي موسى وآخر أيام تل العمارنة
- النسخ في الوحي

4.2 **وقائع شهيرة في حياته ووفاته:**

اعتزل الكتابة في يونيو 2005 على إثر تهديد بلغه، وبحجة ما خطه قلمه من اعتداء على ثوابت الأمة والدين، ولتصعيده ضد بعض الطوائف كما في مقاله: "إنها مصرنا يا كلاب جهنم".

لم تطل فترة اعتزال القمني للكتابة، فقد عاد لإكمال مشروعه كما بدأ، حتى نال جائزة الدولة المصرية التقديرية في العلوم الاجتماعية لعام 2009 التي تبلغ قيمتها مائتا ألف جنيه مصري؛ وهذا ما أثار جدلا واسعا حول استحقاقه لهذه الجائزة، لكن القمني ظل ثابتا على مبادئه ومواقفه -رغم النزاعات الحادة بينه وبين رجالات الدين والفكر والتي وبلغت أروقة المحاكم أحيانا- حتى وافته المنيّة بعاصمة البلد القاهرة في 06 فبراير 2022 عن عمر ناهز 74 سنة.

3. موقف سيد القمني من مرويات غزوة بدر الكبرى من خلال كتابه: "حروب دولة الرسول"

1.3. موقف سيد القمني من الأسباب الدافعة للغزوة:

يعتبر اللقاء يوم بدر بين الفريقين من المؤمنين والمشركين منّة إلهية وهبة ربانية، وتوفيقا من الله تعالى لمن آمن به وأُخرج من دياره وهاجر في سبيله؛ لقطع رؤوس الشرك وصناديد الكفر، وذلك بنص القرءان

الكريم، إذ يقول المولى تعالى: ﴿إِذۡ أَنتُم بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُم بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلۡقُصۡوَىٰ وَٱلرَّكۡبُ أَسۡفَلَ مِنكُمۡۚ وَلَوۡ تَوَاعَدتُّمۡ لَٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡمِيعَٰدِ وَلَٰكِن لِّيَقۡضِيَ ٱللَّهُ أَمۡرٗا كَانَ مَفۡعُولٗا لِّيَهۡلِكَ مَنۡ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٖ وَيَحۡيَىٰ مَنۡ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٖۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾﴾ [الأنفال: 42]، لكن يرى سيد القمني أن أحداث السيرة النبوية عموما ومنها هذا النصر البدري، هو محض جهد بشري وفرز طبيعي، أفرزته الظروف التاريخية والاجتماعية والسياسية للجزيرة العربية؛ وذلك بناء على نظرته للنبوة والرسالة، فإنه تبع لغيره من أهل الحداثة والاستشراق في كونها ظاهرة إنسانية، مرت عبر مراحل مختلفة ومتراكمة، لتصل ذروتها على يد النبي محمد ﷺ، الذي هو حلقة ضمن مجموعة من الحلقات المتسلسلة المفضية إلى قيام الدولة المنتظرة منذ أمد ليس بالقريب، يقول القمني: "كنا نقول حتى الآن: من الطبيعي ومن الحتمي ومن الضروري، فالأمر حسب قوانين التاريخ لا بد أن تؤدي مقدماته إلى نتائجه، متى توافرت الشروط، لكن هنا قد يجوز القول لقائل: ومن الغريب أن ينهض بإتمام التطور إلى نهاية نضجه، لصالح الطبقة التجارية، فرد مكي قرشي، هو نبي الاسلام ﷺ، محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم"[1].

وهذا الكلام ونحوه يتردد كثيرا في لسان سيد القمني، كقوله -في ثنايا تعليقه على وقائع غزوة بدر: "وعليه يمكن بالقراءة الموضوعية أن يستكشف المتابع ظروفا أدت إلى غزوة بدر، وصاغت دقائق أحداثها وحتمت نتائجها، وأن يقرأ دور الجهد البشري في توجيه مجموعة العناصر المكونة للمقدمات والنتائج، ودورها الجدلي مع قواعد التطور الاقتصادي ومن ثم المجتمعي، كما يمكنه ببساطة وإنصاف أن يقرأ دور التخطيط الواعي من قبل البشر لدفع ذلك التطور نحو غايته، والوقعة البدرية نحو نتائجها"[2]، لذلك فهو ينحو بطريق أو بأخرى إلى التهوين من شأن الرسالة في الجملة ومن مصدرها الربّاني، ومن الإعانات الإلهية القدرية والتي سنذكر طرفا منها قريبا إن شاء الله، والتي كانت عاملا مهما في النصر؛ وإبان ذلك نجده يحصُر تحليله للأحداث على الأسباب الحسية ويعول فقط على المعطيات الواقعية المادية، ويبني عليها نتائجه منوّها بالدور البشري الفعّال والتخطيط المتميز.

ويرى من جهة أخرى أن السبب المباشر للغزو يتمثل في المغانم، وأنها هي الدافع لدخول كثير من المستضعفين في الإسلام، والجامع الحقيقي لهم في شكل جماعة إسلامية، تتدرّج شيئا فشيئا لتصبح جيشا كاملا مدافعا ومحاربا، بل وزعم أن من أسباب فشل الدعوة في الفترة المكية هو عدم وجود جزاء أو نعيم عاجل، يتسلّى به أتباع الدعوة الجديدة، ويعلل لرأيه هذا بأنه لما تمّ الإعلان عن حِلّ المغنم؛ أصبح الحل المادي متوفرا، يقول القمني: " وهنا نقطة التحول المادية الخطيرة، التي لعبت دورا عظيما في جذب الأتباع من مستضعفي القبائل ومحاربيهم، بعد أن ظل النبي في مكة ثلاثة عشر عاما يدعو دون إجابة العدد الكافي من المستضعفين إلى دعوته، حيث كانت الدعوة تؤجل الوعد بالنعمة والرفاه إلى الآجل...

1 سيد القمني: حروب دولة الرسول، ج1/ص35.

2 المصدر نفسه، ج1/ص103.

ولهذا لما تم الإعلان عن مغانم أحلها الله لرسوله والمؤمنين من أموال المشركين، أصبح الحل حقيقة مادية دنيوية ملموسة، ومكاسب عينية ماثلة أمام المستضعفين، تدعوهم لدخول جيش الدولة الجديدة"[1].

إن المتأمل في نظرية سيد القمني هذه لا يعتريه شك في فسادها وعدم توجهها، وذلك من وجوه:

- الأول: أن دعوى قلة الأتباع غير مسلم، فقد كانوا يزدادون شيئا فشيئا حتى بايع النبي ﷺ قبيلتان عظيمتان من قبائل الحجاز وهم الأوس والخزرج، وهيؤوا له دار نصرة بيثرب، والتي أصبحت بعد عاصمة للدولة الإسلامية الطالعة.

- الثاني: لو سلمنا جدلا أن المؤمنين كانوا قلة في البداية، فهذا شأن كل الدعوات والمشاريع الإصلاحية، تبدأ خافتة ثم تقوى شيئا فشيئا، وهذا الأمر مقرر في علم التاريخ وعلم الاجتماع.

- الثالث: يمكن تفسير قلة الأتباع إن سلمنا بكونه حقيقةً بالاضطهاد والتعذيب والقمع الذي فرضته قريش على الرعيل الأول.

- الرابع: أن إباحة المغانم بعد الإذن في القتال أمر منطقي يتماشى وواقع الدعوة، إذ كان هدف النبي ﷺ في المرحلة الأولى السعي في ترسيخ العقيدة وأصول الإيمان، وتزكية النفوس بالعدة الإيمانية مع تخليصها من شوائب وأدران الجاهلية، فإذا تحقق هذا المعنى، انتقل إلى المرحلة التالية في نظام محكم ومتكامل.

وعليه فالقمني يشكك في نوايا السابقين الأولين من المؤمنين، ويتجاهل الدور العظيم الذي قاموا به لأجل نصرة الدين، ويغفل مآثرهم الخالدة ويقدح في إخلاصهم لله ولرسوله ولدينه؛ وأن إسلامهم كان لأغراض دنيوية صرفة، وينكر شرف هذه الفئة معرضا عنها، وقد قال الله تعالى في حقها: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحديد: 10]، ويتجاهل المقاصد العليّة للجهاد الإسلامي، وأن أعظم تلك المقاصد محق الشرك ودحض الكفر وأن تكون كلمة الله هي العليا؛ وأن سبب تحليل المغانم قد نص عليه الشارع الحكيم ونبه على علته، كما في حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " فلم تحل الغنائم لأحد من قبلنا، ذلك بأن الله تبارك وتعالى رأى ضعفنا وعجزنا، فطيّبها لنا"[2].

2.3. موقف سيد القمني من المعجزات والكرامات الواقعة في غزوة بدر

إن المتتبع لكتابات سيد القمني في ما يتعلق بباب المعجزات والكرامات، لا يشك في مذهبه القائم على نفي هذا النوع من الحقائق القطعية، ويعتبرها نوعا من المزايدات أو الخيال أو الأساطير المختلقة في زمن متأخر، بل ربما عدّها من قبيل الاعتقاد بالأثر السحري للفعل النبوي ونحوه؛ ابتدعها الرواة لمجموعة من الأغراض الدينية أو التاريخية أو السياسية... يقول في كتابه المسمى (رب الزمان): "وستجد في كل صفحة من تلك المصنفات شتى أنواع العفاريت ورتبهم وديناتهم وصفاتهم ودورهم في بناء كل أنواع المعمار العظيم

1 المصدر السابق، ج1/ص69.

2 صحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب: تحليل الغنائم لهذه الأمة خاصة، برقم:1747، ج/3ص1366.

في الحضارات القديمة، وهو ما يحمل دلالات واضحة على تهافت منهج عاجز عن التفسير، يلجأ إلى منطق المعجزة..."[1] ويتبع من أجل ذلك منهجا متنوعا في رده لهذه المعاني؛ تارة بالطعن في طريق نقلها، وتارة أخرى بنقدها نقدا عقليا –حسب زعمه-، وتارة يتكلف لها بضرب من التوجيه أو التأويل المتعسف المتهافت. وهذا ما سنراه بالتفصيل، لمجموعة من الأحداث والوقائع الخارقة للعادة، المشهورة في مصادر السنة والسيرة، والتي كان مسرحها غزوة بدر الكبرى، وكيف تعامل سيد القمني معها.

1.2.3 موقف القمني من رمي الحصباء في وجوه المشركين:

عن حكيم بن حزام قال: "لما كان يوم بدر أمر رسول الله - ﷺ - فأخذ كفا من الحصى، فاستقبلنا به فرمى بها، وقال:" شاهت الوجوه " فانهزمنا، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: 17][2] ، وحادثة رمي الحصباء من الأحداث المشهورة التي تكاد تتفق عليها كتب السير والمغازي، وقد ذكرها الرّواة مرتين، الأولى منهما في سياق ذكر غزوة بدر، وثانيهما في غزوة حنين؛ لكن الأقرب عند التحقيق أنها كانت في غزوة بدر، ومما يستشهد به أن قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: 17] هو من سورة الأنفال، وسورة الأنفال إنما تناولت أحداث غزوة بدر، ثم إن المفسرين عند تفسيرهم لهذه الآية نصّوا على سبب نزولها وذكروا حكاية حكيم بن حزام، قال ابن كثير: "ثم قال تعالى لنبيه ﷺ أيضا في شأن القبضة من التراب التي حصب بها وجوه الكافرين يوم بدر حين خرج من العريش بعد دعائه وتضرعه واستكانته فرماهم بها ...فأوصل الله تلك الحصباء إلى أعين المشركين فلم يبق أحد منهم إلا ناله منها ما شغله عن حاله ولهذا قال تعالى: وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى أي هو الذي بلغ ذلك إليهم وكبتهم بها لا أنت"[3].

وبعد هذا العرض نجد سيد القمني لا يألو جهدا في نفي هذه الواقعة معتبرا إياها مزايدة، بل أسطورة من صنع الرواة، فيقول: "وهكذا احتشدت كتب السير والأخبار بالمزايدات، والروايات التي تنزع نحو الأسطورة بمجرد أن فتح لها الباب، وبات بالإمكان سلخ أي حدث عن واقعه ونقله إلى مستوى آخر، يكسر الواقع ويدعم الأسطورة بالشهادات. وهو ما تمثل في قصة حدثت عند بدء وقعة بدر، عندما أمسك النبي عليه السلام بحفنة من الحصباء، رمى بها قريشا"[4]، ولا يذكر دليلا على قوله كما تقتضيه منهجية البحث العلمي، وإنما يتخرّص بالظن ويدعي دعوى من غير بينة؛ فيزعم أن هذه الرواية قد تكون من المجاملات أو

1 سيد القمني: رب الزمان، ص174.

2 أبو القاسم الطبراني: المعجم الكبير،ج3/ص203. وأخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد، وقال: إسناده حسن، رقم9997، ج6/ ص84. وقال محمد عبد الله الأعظمي: "ولحديثه أصل، وهو في المغازي، وليس في الأحكام" انظر: الجامع الكامل في الحديث الصحيح الشامل المرتب على أبواب الفقه: محمد عبد الله الأعظمي،ج8/ص204.

3 إسماعيل بن عمر بن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج4/ص30. وانظر: مفاتيح الغيب للرازي: ج15/ص466، والدر المنثور للسيوطي: ج4 ص25، وفتح القدير للشوكاني: ج2/ص388، وموسوعة التفسير بالمأثور: إشراف مساعد الطيار:ج9/ص647، وغيرها.

4 سيد القمني: حروب دولة الرسول، ج1/ص106.

المحاباة من مَسلمة ما بعد الفتح، الذين أرادوا التحبب إلى المسلمين ونبي الإسلام، فيقول: "وكثيرا ما وردت تلك المزايدات على لسان مشركين أسلموا متأخرين، ومنهم الطلقاء الذين أرادوا التحبب للإسلام والمسلمين ونبي الإسلام، ببعض المجاملات والملاطفات..."[1]، متغافلا عن تعيين هذا الصنف أو من ذكر هذا التعليل عن الأولين من أهل الأخبار والسير، ويكتفي بكونه احتمالا يقبله الإمكان أو الجواز.

2.2.3 موقف سيد القمني من الملائكة المشاركة في غزوة بدر

يعد نزول الملائكة يوم بدر من الأخبار المستفيضة والقطعية التي تناولتها كتب التراث عموما بما فيها كتب السنة، بل تناولتها أرقى هذه الكتب صحة، ألا وهما الصحيحان، فقد بوب الإمام البخاري في صحيحه ضمن كتاب المغازي: " باب شهود الملائكة بدرا" وذكر في آخر الباب حديث ابن عباس ﷺ: "أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر: هذا جبريل، آخذ برأس فرسه، عليه أداة الحرب"[2]، ومع ذلك فإننا نرى سيد القمني يتنكر لهذه الروايات؛ بناء على مذهبه الذي سبقت الإشارة إليه، قادحا فيها بطعن مُبّطن خفي؛ فلا يذكر رواية إلا ويقدم لها بما يشكك فيها أو يتعقبها بتعليق ساخر متهكما، وقد يتأول لها بدعوى لا دليل عليها، أو يستأنس بكلام بعض النقاد في الروايات التي تُكُلّم فيها، و فيما يلي جلّ هذه المواقف بالترتيب:

أولا: يقول القمني: "ثم تتوالى الروايات عن بعض رجال بني مازن لا نعرف من هم تحديدا. عن أبي داود المازني أنه قال: إني لأتبع رجلا من المشركين يوم بدر لأضربه، إذ وقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفي، فعرفت أنه قد قتله غيري"[3]، فكأن القمني هنا يلمز الرواية بالجهالة، أي جهالة الرجال من بني مازن، وإن كان هذا الكلام صحيحا في الظاهر، لقول الزيلعي كما في تخريج أحاديث الكشاف: " رواه ابن هشام في سيرته وإسحاق بن راهويه في مسنده والطبري وابن مردويه في تفسيريهما وأبو نعيم في دلائل النبوة، كلهم من حديث ابن إسحاق، حدثني أبي إسحاق بن يسار عن رجال من بني مازن بن النجار عن أبي داود المازني"[4]، وقول ابن عساكر: "في سند ابن إسحاق من لا يعرف"[5]؛ فإن القمني يوجه التهمة نفسها لحديث آخر في السياق نفسه ، هو في صحيح الإمام مسلم من رواية ابن عباس قال: "بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه، إذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس يقول: أقدم حيزوم، فنظر إلى المشرك أمامه فخر مستلقيا، فنظر إليه فإذا هو قد خطم أنفه، وشق وجهه، كضربة السوط فاخضر ذلك أجمع، فجاء الأنصاري، فحدث بذلك رسول الله ﷺ، فقال: "صدقت، ذلك من مدد

1 المصدر نفسه: ج1/ص106.

2 محمد بن إسماعيل البخاري: الجامع الصحيح، كتاب المغازي، باب شهود الملائكة بدرا، برقم3995.

3 سيد القمني: حروب دولة الرسول، ج1/ص108.

4 جمال الدين الزيلعي، تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري، ج2/ ص15.

5 ينظر: أحمد بن طاهر الداني الأندلسي: الإيماء إلى أطراف أحاديث كتاب الموطأ، ج3 /ص281.

السماء الثالثة"[1]، واللافت للنظر أن القمني ذكر هذه الرواية عقب الرواية الأولى بأسطر قليلة، ويكرر العلة نفسها بقوله: "ثم تتوالى الروايات التي عادة ما يشار إلى رواتها بالقول: قال رجل كذا...ومثلها قول ابن عباس..."[2]، وذكر الحديث الصحيح موهما للقارئ أن الرواية مثل سابقتها وأنها غير ثابتة؛ وهذا الأخير مزلق خطير ينافي الأمانة العلمية وأخلاقيات البحث العلمي؛ لما يعتريه من التدليس والتلبيس المفضي إلى طرح رواية صحيحة، اشتمل عليها كتاب من أصح الكتب بعد كتاب الله تعالى، هو صحيح الإمام مسلم.

ثانيا: يقول سيد القمني: "ويروي بعض بني ساعدة عن أسيد مالك بن ربيعة بعد أن ذهب بصره: "لو كنت اليوم معي ببدر ومعي بصري، لأريتك الشعب الذي خرجت منه الملائكة، لا أشك فيه ولا أتمارى". وهكذا فالرجل الوحيد الذي رأى الملائكة رؤى العين، ورأى الشعب الذي انسلت منه صفوفهم إلى جبال بدر ووادييه، قد ذهب بصره، حتى لا يتمكن من تحديد المكان، ويظل القصّ هلاميا، وقفا على رواية بني ساعدة"[3].

إن المتأمل في كلام سيد القمني يجده قد اشتمل على جملة من المغالطات:

منها: دعواه أن الرائي للملائكة شخص واحد، فإن حدثا يقع في مثل غزوة بدر مما تتوافر الدواعي بنقله، لا سيّما مع العدد المعتبر للصحابة في هذه الغزوة والذي بلغ ثلاث مئة وتسعة عشر رجلا؛ وهذه الدعوى لا يخفى تهافتها من وجهين:

أ) كون الراوي للواقعة واحدا لا يعني أنه هو الوحيد، كما لا يستلزم رد خبره، فقد يكون الخبر فردا ويكون معلوما مشهورا في الوقت نفسه كحديث عمر بن الخطاب: "إنما الأعمال بالنيات..."

ب) أن أسيد مالك بن ربيعة ليس الوحيد من الصحابة الذي رأى الملائكة، بل هناك عدة نقول تظافرت على إثبات هذا المشهد، منها رواية ابن عباس آنفا، واحدة في صحيح البخاري والأخرى في صحيح مسلم، ومنها أيضا:

- عن عاصم بن عمر بن قتادة عن أبيه عن جده قتادة ابن النعمان أنه أصيبت عينه يوم بدر فسالت حدقته على وجنته، فأرادوا أن يقطعوها فسألوا النبي ﷺ فقال: "لا" فدعا به فغمز عينيه براحته، فكان لا يدري أي عينيه أصيبت.

قال الألباني: صحيح بتعدد طرقه[4].

---

1 مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة المغانم، برقم 1763، ج3/ص1383.

2 سيد القمني: حروب دولة الرسول، ج1/ص108.

3 المصدر نفسه: ص109.

4 محمد ناصر الدين الألباني: بداية السول في تفضيل الرسول ﷺ لعبد العزيز بن عبد السلام، ص41.

- عن معاذ بن رفاعة بن رافع الزرقي، عن أبيه وكان أبوه من أهل بدر قال: جاء جبريل إلى النبي - ﷺ – فقال: ما تعدون أهل بدر فيكم؟ قال: من أفضل المسلمين أو كلمة نحوها. قال: وكذلك من شهد بدرا من الملائكة.[1]

- عن علي قال: " قيل لعلي ولأبي بكر يوم بدر: مع أحدكما جبريل، ومع الآخر ميكائيل، وإسرافيل ملك عظيم يشهد القتال أو قال: يشهد الصف".[2]

- عن ابن عباس قال: كان الذي أسر العباس بن عبد المطلب أبا اليسر بن عمرو، وهو كعب بن عمرو، أحد بني سلمة. قال له رسول الله صلي الله عليه وسلم: "كيف أسرته يا أبا اليسر"، قال: "لقد أعانني عليه رجل ما رأيته بعد ولا قبل، هيئته كذا، هيئته كذا"، قال: فقال رسول الله ﷺ: "لقد أعانك عليه ملك كريم".[3]

ومنها-أي المغالطات- قوله: "ويظل القصّ هلاميا، وقفا على رواية بني ساعدة"، فيمكن الجواب عنه بما سلف، من أن أخبار ووقائع السيرة ليست لها صفة الأحكام الشرعية[4]، من دقة التحرّي والتحقيق، وإنما تعطى حكم الوقائع والأخبار التاريخية التي يُتساهل فيها ما لا يُتساهل في غيرها، مع اعتبار القرائن والملابسات المساعدة في عملية النقد قوة أو ضعفا، علما أن الهيثمي قد سمى المبهم من بني ساعدة وهو أبو أسيد الساعدي، مع كون الخبر قد ذكره جُلّ من ألف في السيرة النبوية، بدءا بابن إسحاق وابن هشام والواقدي إلى البيهقي وابن كثير وابن سيد الناس وغيرهم.

ثالثا: يقول سيد القمني: "والعجيب بشأن ما روي عن الملائكة البدريين قصص أخرى، كان واضحا أن أصحابها لم يجدوا أي دلائل ظاهرة يمكن تأويلها ونسبتها إلى الملائكة، فالتقطت نمل الوادي الذي ربما سال من جحوره بفعل المعركة، وما سكب من ماء القلب المغوّرة، لترى في ذلك النمل ملائكة السماء... لكن الملاحظة هنا أن الرواية خرجت بنمل الوادي إلى فضاء الأسطورة ..."[5]. وهذه إحدى الروايات الصالحة التي تصور مشهد الملائكة ببدر، فقد قال الحافظ ابن حجر عقب سرده لها: إسناده حسن، إن كان إسحاق بن يسار سمعه من جبير[6]، وعلّق الصوياني قائلا: "وهذا السند قوي، والد ابن إسحاق ثقة، وقد روى عن

1 محمد بن إسماعيل البخاري: الجامع الصحيح، كتاب المغازي، باب شهود الملائكة بدرا، برقم3992.

2 أخرجه الإمام أحمد في مسند علي ﷺ، برقم 1256، وأبو يعلى في مسند علي ﷺ، برقم340، والحاكم في المستدرك في كتاب معرفة الصحابة مرتين برقم4430، وبرقم4653، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح. انظر مسند أحمد بتحقيقه، ج2 /ص122.

3 أخرجه الإمام أحمد في مسند عبد الله بن عباس، برقم3310، وقال أحمد شاكر في تعليقه أنه رواه الطبري بإسناده صحيح، انظر مسند أحمد بتحقيقه، ج3/ص450.

4 محمد عبد الله الأعظمي: الجامع الكامل في الحديث الصحيح الشامل المرتب على أبواب الفقه، ج8 /ص204.

5 سيد القمني: حروب دولة الرسول، ج1/ص112.

6 أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، برقم 4249، ج17 /ص321.

معاوية، ومعاوية توفي بعد جبير بن مطعم ﷺ"[1]، لكن سيد القمني كالعادة يتعنت للواقعة ويجريها على الطبيعة والمعهود، بل ويصف المخبر الذي شهد الوقعة بإخراجه لها عن حد المألوف وإجرائها مجرى الأسطورة؛ ويعلل لها بتعليل ظاهري بسيط وأنه نمل حقيقي يسكن الوادي، خرج بفعل المعركة أو بسبب مياه الآبار المغوّرة، فلا يوجد ما يخالف المعروف ولا ما يخرق المعقول، ويتجاهل بذلك الراوي الصحابي الجليل -جبير بم مطعم- الذي عايش الحدث وعاينه، بقوله الواضح الصريح: " رأيت قبل هزيمة القوم والناس يقتتلون، مثل البجاد الأسود أقبل من السماء مثل النمل الأسود، فلم أشك أنها الملائكة"[2]، وقول حكيم بن حزام في السياق نفسه: " لقد رأيتنا يوم بدر وقد وقع بوادي خلص بجاد من السماء قد سد الأفق، وإذا الوادي يسل نملا..."[3].

ومن خلال هذا العرض يتبين جليا موقف سيد القمني من المدد الإلهي لنصرة نبيه وأوليائه، الثابت أصله في التنزيل الكريم في قوله تعالى: ﴿إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ ٩﴾ [الأنفال: 9]، وما يحمله من آيات ودلائل على أنه إعانة ربانية وتأييد إلهي لإحقاق الحق وإبطال الباطل، ويكتفي القمني بكونه مجرد خبر محض؛ الغرض منه الإزعاج والتحفيز للقتال والاستعداد للقاء قريش ليس غير.

3.3 موقف سيد القمني من نتائج غزوة بدر

لا ريب أن الملحمة البدرية كانت نصرا مؤزرا للدعوة الطالعة، بعد اجتثاث أئمة الكفر وقطع رؤوس الملأ القرشي وأشرافه، كما لا يخفى تميزُها ودورها الأساس في كونها محطة ستُغيّر أحداثُها مجرى التاريخ، بعد أن أثبتت للمؤمنين شوكَتهم وعزّزت كيانهم، ورسّخت إيمانهم بإنجاز وعد الله تعالى لهم، وما ترتب عليها من مغانم أحلها الله لهم، لم تحل لأحد من قبلهم.

وفي ضوء هذه النتائج يلقي سيد القمني بدلوه معلّقا على آثار غزوة بدر الكبرى، فيذكر إخضاع اليهود والمنافقين، وتبوّأ النبي ﷺ مكانته عند القبائل خاصة تلك المتاخمة ليثرب، مع توسيع حدود الدولة بانضمام بعض هذه القبائل...

والأهم والأخطر برأيي هي تلك التي تعلقت بشخص الرسول الأمين ﷺ وبعض الصحابة؛ حيث ادعى القمني دعوى أسرف فيها في حقه ﷺ وحق صحابته، وأطلق عليها لفظ التوازن بين النقائض، مدعيا أنه عليه الصلاة والسلام يجمع في تصرفاته بين اختيارين متضادين تماما، الأول منهما يتمثل فيما أسماه بـ "الأُممية"، ويقصد به تلك السِّمة الجديدة التي جاءت بها الدعوة الإسلامية التي تزن أتباعها بميزان واحد،

1 محمد بن حمد الصوياني: السيرة النبوية كما جاءت في الأحاديث الصحيحة، ج2/ص110.

2 أخرجه البيهقي في دلائل النبوة من طريق إسحاق بن راهويه، ج3/ص61، ومن طريقه أيضا ابن كثير في السيرة النبوية، ج2/ص430، ومن أهل السير والأخبار من ساق هذا الخبر في ذكر وقائع غزوة حنين. وانظر: الروض الأنف للسهيلي، ج7/ص212.

3 أخرجه الواقدي في مغازيه، ج/1ص80. وعنه ابن كثير في البداية والنهاية، ج5/ص120. والبيهقي في الدلائل، ج3/ص61.

وتبوّؤهم منازلهم التي يستحقونها دون تمييز بينهم، وأن المعتبر في التفضيل هو التقوى لا غير؛ ويقابل هذا المعنى مصطلح "القبلية" أو "العصبية" الذي نخر أركان المجتمعيّة في الفترة الجاهلية، وأن هذا المعنى الأخير وإن جاءت الرسالة بنفيه وإعدامه، فإنه لا يزال متجذرا في النفوس، تستبطنه المهج وتستكنه الصدور، يقول سيد القمني: "ويتضح لنا ذلك الصراع بين الأممية والقبلية، في لحظة العودة من بدر، ومعهم الأسرى وفيهم العباس وبعض بني هاشم، فاستشار النبي أصحابه بشأنهم، والرواية هنا تبرز بوضوح من بدل ولاءه تماما نحو الأممية الجديدة، وهو الموقف المتناقض مع موقف آخر لايزال يستبطن القبلية وحميتها، ثم موقف ثالث هو موقف النبي عليه الصلاة والسلام، واصطراع الأمرين داخل نفسه البشرية"[1]، وهو هنا يشير إلى الحديث الذي رواه الإمام مسلم عن ابن عباس قال: " فلما أسروا الأسارى، قال رسول الله ﷺ لأبي بكر، وعمر: "ما ترون في هؤلاء الأسارى؟"، فقال أبو بكر: "يا نبي الله، هم بنو العم والعشيرة، أرى أن تأخذ منهم فدية فتكون لنا قوة على الكفار، فعسى الله أن يهديهم للإسلام"، فقال رسول الله ﷺ: "ما ترى يا ابن الخطاب؟" قلت: "لا والله يا رسول الله، ما أرى الذي رأى أبو بكر، ولكني أرى أن تمكننا فنضرب أعناقهم، فتمكن عليا من عقيل فيضرب عنقه، وتمكنني من فلان -نسيبا لعمر- فأضرب عنقه، فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها"، فهوي رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر، ولم يهو ما قلت، فلما كان من الغد جئت، فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر قاعدين يبكيان، قلت: "يا رسول الله، أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك، فإن وجدت بكاء بكيت، وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما"، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أبكي للذي عُرض على أصحابك من أخذهم الفداء، لقد عُرض علي عذابهم أدنى من هذه الشجرة""[2]، بل يرى أن هذه النزعة القومية قد أفضت إلى معارضة بعض الصحابة الذين كان موقفهم صارما وثابتا تجاه القبلية، بناء على رواية فحواها أنه ﷺ أمر الصحابة قبل غزوة بدر ألا يتعرضوا لعمّه العباس وآل هاشم مع أناس مخصوصين؛ لكونهم خرجوا مكرهين غير محاربين، روى ابن هشام قال:" قال ابن إسحاق: وحدثني العباس بن عبد الله بن معبد، عن بعض أهله، عن ابن عباس: أن النبي ﷺ قال لأصحابه يومئذ: "إني قد عرفت أن رجالا من بني هاشم وغيرهم قد أُخرجوا كرها، ولا حاجة لهم بقتالنا: فمن لقي منكم أحدا من بني هاشم فلا يقتله"... فقال أبو حذيفة: "أنقتل آباءنا وأخواتنا وعشيرتنا، ونترك العباس، والله لئن لقيته لألحمنّه السيف""[3]، وهذه الرواية من جهة السند غير ثابتة كما هو ظاهر سندها؛ لجهالة أهل العباس بن عبد الله، لا سيّما وقد قال الإمام الذهبي معلقا عليها: "ويستبعد -مع

1 سيد القمني، حروب دولة الرسول ، ج1/ص90.

2 مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة المغانم، برقم 1763، ج3/ص1383.

3 عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية، ج2/ص197.

ضعف الإسناد- أن يصدر هذا الكلام من أحد الصحابة - ﷺ - خاصة ممن هو من السابقين الأولين للإسلام، بل حتى من بعدهم"[1].

وعليه فالقمني هنا لا يتعرض للجهالة التي جعلها من قبل سببا في جرح الراوي وطرح الرواية، من غير أن يحقق فيها، أو يراعي مدى موافقة مدلولها للأصول الشرعية أو القواعد الكلية أو عمل الصحابة وفهمهم، مكتفيا بموافقة متنها لنظريته؛ يقول: "لكن مثل ذلك الوفاء كان ممكنا أن يثير تساؤلات مشروعة في نفوس أتباع هجروا العشائرية، ومنحوا الولاء كله لدعوة ترفض الأطر القبائلية بل تحطمها، من ثم كان لذلك الوفاء النبوي أن يثير اعتراضات سبق أن رأينا مثلها في موقف أبي حذيفة"[2]، ثم هو يغض الطرف عن خاتمة الرواية الواضحة المزيلة لأي شبهة أو شك: "فقال عمر: يا رسول الله، دعني فلأضرب عنقه بالسيف، فوالله لقد نافق. فكان أبو حذيفة يقول: ما أنا بآمن من تلك الكلمة التي قلت يومئذ، ولا أزال منها خائفا إلا أن تكفرها عني الشهادة، فقتل يوم اليمامة شهيدا"[3].

وهكذا يتعرض سيد القمني لمشورة النبي ﷺ لأصحابه في شأن الأسارى -والتي قد نزل فيها من بعدُ قرآن يتلى، بيّنها ووجه اجتهاد النبي ﷺ وأصحابَه فيها- ؛ فيخرجها القمني عن إطارها وسياقها، ويذهب بعيدا في تأويلها، في تحليل مليء بالتعسف والإجحاف.

ويزيد على ذلك أنّ إفرازات هذه المرحلة إنما هي البداية في حلقة جديدة ضمن سلسلة بناء الدولة المركزية المنشودة، برعاية وإشراف البيت الهاشمي، وبزعامة النبي المختار ﷺ، ولذلك فهو يرى الآن أن النبي ﷺ بصدد مرحلة جديدة يعبر عنها بقوله: "لتبدأ مرحة جديدة على الخط الاستراتيجي، متجاوزة المرحلة التكتيكية المتحالفة مع المستضعفين، تستكمل خطها الأصلي، لكنها وهي بسبيل ذلك تشكل تراجعا محسوبا عن الأممية المطلقة، فتأخذ السمت الوسطي بين الأممية وبين الدعوة إلى الحفاظ على العلاقات العشائرية والتوصية بذوي الأرحام..."[4]، ويقول أيضا في السياق نفسه، ولكن بتعبير واضح وصريح يجسد تكييف صاحب الدعوة لمبدأ الموازنة بين النقائض حسب ما تقتضيه الظروف ومعطيات الواقع، يقول: "مما سيمكن مؤسسة الدولة من استخدام الأممية دوما والعشائرية أحيانا في موضعها

1 ينظر: محمد بن عبد الله العوشن: ما شاع ولم يثبت في السيرة النبوية، ج1/ص88.

2 سيد القمني: حروب دولة الرسول، ج1/ ص88.

3 عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية، ج2/ص197.

4 سيد القمني: حروب دولة الرسول، ج1/ص123.

المناسب من الظروف المتغيرة، لتحقيق أهداف أكثر نفعا، حسب الحاجة إلى أي منها وحسب الطارئ وظروفه، وما يستدعيه من حاجة إلى أي من الطرفين النقيضين..."[1].

وعودا على الأول، يواصل القمني كلامه في ختام الحديث والتعليق على أحداث غزوة بدر وآثارها على مختلف الأصعدة، وينتهي إلى نقطة البداية وهي التأكيد على فكرة الدولة المركزية المرتقبة، عبر مسيرة تاريخية بلغت ذروتها على يد النبي محمد بن عبد الله الهاشمي ﷺ، ولتستمر على يد أفراد من أشراف قبيلته القرشية، وذلك وفق المنهجية السالفة التي تعتمد على مبدأ الموازنة بين النقائض، الذي أُبرم وطُبّق خلال المرحلة النبوية المشرفة، وسيمتد إلى الدولة الأموية وما بعدها في ملك متوارث هائل.

4. خاتمة

بعد هذا العرض والتحليل لأهم مواقف سيد القمني إزاء بعض الوقائع الشهيرة التي احتضنتها غزوة بدر الكبرى، يمكن الخلوص إلى النتائج الآتية:

- النبوة عند سيد القمني ليست سوى ظاهرة إنسانية، ونتيجة تاريخية حتمية، خاضعة للعوامل البشرية: الاجتماعية والسياسية والاقتصادية.
- الانطلاق مما هو موجود، والغلو في الأسباب الحسية وإفضائها إلى مسبباتها، ومن أهم هذه الصور: التنويه ولإشادة بالدور البشري الفعال في انبثاق الوقعة البدرية.
- القمني ينفي وقوع ما يسمى بالمعجزات أو الإعانات الإلهية القدرية، ويعتبرها مجرد توهمات أو محض افتراءات من الرّواة، ويوجه ما أمكنه توجيهه منها في ضوء المعقول والمحسوس فقط.
- اتهام النبي ﷺ وأصحابه الكرام بمبدأ الموازنة بين النقائض، يعد أسوأ المواقف التي تبناها سيد القمني، ضمن مواقف كثيرة تخللتها دراسته لغزوة بدر الكبرى.
- التأويل البعيد أو المتعسف في تحليل الأحداث، مع عدم الاستناد إلى الأدلة الصحيحة الصريحة من النقل أو العقل، والركون إلى الدعاوى المجردة.
- نقض الموضوعية وفقدان المعايير العلمية، بالتشكيك في بعض الروايات الثابتة أحيانا، والتهكم ولمز البعض الآخر تارة أخرى.
- الانتقائية في توظيف ما يخدم الفكرة دون مراعاة التفريق بين الصحيح الثابت والضعيف المردود، والتناقض في منهج الاستدلال، بين تعليل الرواية الضعيفة أحيانا، والانطلاق من نظيرتها أحيانا أخرى، مع قابلية رد الثابت الصحيح، بل ربما رد ما هو في أعلى درجات الصحة كأحاديث الصحيحين.

1 المصدر السابق، ج1/ص126.

● ضعف ملكة التحقيق وفقد الدقة العلمية المطلوبة في معالجة المسائل، والعزوف عن كلام أهل الصنعة والاختصاص، سواء ما تعلق بالسيرة وأخبارها أو بالحديث الشريف ونقده.

وإنني إذ أختم بحثي هذا، فأوصي عموم إخواني الباحثين بضرورة الاعتناء بهذا المجال العلمي الخصب، مجال السنة النبوية في الدراسات الحداثية المعاصرة بشتى شعبه وفروعه، لا سيّما ما تعلق بالسيرة النبوية، فهي الشق التطبيقي الأمثل والميدان الرحب والمعين في فهم السنة ومتعلقاتها؛ كما ألفت النظر بتسليط الأضواء على كتابات سيد القمني المرتبطة بهذا الموضوع وغيره، فإنها تحمل في طياتها الكثير الصالح للدراسة والنقد، وكتاب "حروب دولة الرسول" أبرز مثال لذلك.

5. قائمة المراجع:

• ابن حجر ، أحمد بن علي، (1419هـ)، **المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية**، السعودية، دار العاصمة-دار الغيث.

• ابن كثير، إسماعيل بن عمر،(1418 هـ - 1997م)، **البداية والنهاية**، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان.

• ابن كثير ، إسماعيل بن عمر، (1395 هـ - 1976م)، **السيرة النبوية**، لبنان، بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع.

• ابن كثير، إسماعيل بن عمر، (1420هـ- 1999م)، **تفسير القرآن العظيم**، دار طيبة للنشر والتوزيع.

• ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب، (د ت)، **السيرة النبوية**، شركة الطباعة الفنية المتحدة.

• أبو يعلى، أحمد بن على بن المثنى، (1434 هـ - 2013م)، **مسند أبي يعلى الموصلي**، القاهرة، دار الحديث.

• الداني، أحمد بن طاهر أبو العباس، (1424 هـ - 2003 م)، **الإيماء إلى أطراف أحاديث كتاب الموطأ**، الرياض، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.

• ابن حنبل، أحمد بن محمد بن حنبل، (1416 هـ - 1995م)، **المسند**، القاهرة، دار الحديث.

• الأعظمي، محمد عبد الله،(1437 هـ - 2016 م)، **الجامع الكامل في الحديث الصحيح الشامل المرتب على أبواب الفقه** ، الرياض، دار السلام للنشر والتوزيع.

• البخاري، محمد بن إسماعيل، (1311 هـ)، **صحيح البخاري**، مصر، المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق.

• البيهقي، أحمد بن الحسين أبو بكر،(1405هـ)، **دلائل النبوة**، بيروت، دار الكتب العلمية.

• الحاكم، محمد بن عبد الله ابن البيع، (1411هـ – 1990م)، **المستدرك**، بيروت، دار الكتب العلمية.

• الرازي، محمد بن عمر بن الحسن فخر الدين، (1420 هـ)، **مفاتيح الغيب**، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

• الزيلعي، عبد الله بن يوسف جمال الدين ، (1414ه)، **تخريج الأحاديث والآثار الو اقعة في تفسير الكشاف للزمخشري**، الرياض، دار ابن خزيمة.
• السهيلي، عبد الرحمن بن عبد الله، (1412ه)، **الروض الأنف**، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
• السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين، (د ت)، **الدر المنثور** ، بيروت، دار الفكر .
• الشوكاني، محمد بن علي، (1414 ه)، **فتح القدير**، دمشق– بيروت، دار ابن كثير–دار الكلم الطيب.
• الصوياني، أبو عمر محمد بن حمد، (1424ه - 2004م)، **السيرة النبوية كما جاءت في الأحاديث الصحيحة**، مكتبة العبيكان.
• الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب، (د ت)، **المعجم الكبير** ، القاهرة، مكتبة ابن تيمية.
• العوشن، محمد بن عبد الله، (د ت)، **ما شاع ولم يثبت في السيرة النبوية**، دار طيبة.
• الهيثمي، علي بن أبي بكر بن سليمان، (1414 ه- 1994م)، **مجمع الزوائد**، القاهرة، مكتبة القدسي.
• الواقدي، محمد بن عمر بن واقد، (1409ه-1989م)، **مغازي الو اقدي**، بيروت، دار الأعلمي.
• القمني، سيد محمود،(2019م)، **حروب دولة الرسول**، المملكة المتحدة، مؤسسة هنداوي.
• القمني، سيد محمود،(2019م)، **رب الزمان**، المملكة المتحدة، مؤسسة هنداوي.
• بن عبد السلام، عبد العزيز بن عبد السلام عز الدين،(1406ه)، **بداية السول في تفضيل الرسول** ﷺ، بيروت، المكتب الإسلامي.
• الطيار والشهري، مساعد الطيار ونوح بن يحيى الشهري،(1439ه – 2017م)، **موسوعة التفسير بالمأثور** ، بيروت، دار ابن حزم.
• مسلم، مسلم بن الحجاج، (د ت)، **صحيح مسلم**، لقاهرة، دار إحياء الكتب العربية.

Bibliography List

• Ibn Hajar, Ahmed bin Ali, (1419 AH), High Demands Supplemented by the eight Musnads, Saudi Arabia, Dar Al-Asimah - Dar Al-Ghaith.
• Ibn Kathir, Ismail bin Omar, (1418 AH - 1997 AD), The Beginning and the End, Dar Hijr for Printing, Publishing, Distribution and Advertising.
• Ibn Kathir, Ismail bin Omar, (1395 AH - 1976 AD), The Prophet's Biography, Lebanon, Beirut, Dar Al-Ma'rifa for Printing, Publishing and Distribution.
• Ibn Kathir, Ismail bin Omar, (1420 AH - 1999 AD), Interpretation of the Great Qur'an, Dar Taiba for Publication and distribution.
• Ibn Hisham, Abdul Malik bin Hisham bin Ayoub, (d.), Biography of the Prophet, United Technical Printing Company.
• Abu Ya'la, Ahmed bin Ali bin Al-Muthanna, (1434 AH - 2013 AD), Musnad Abu Ya'la Al-Mawsili, Cairo, Dar Al-Hadith.

• Al-Dani, Ahmed bin Taher Abu Al-Abbas, (1424 AH - 2003 AD), Nodding to the Gists of the Hadiths of the Book of Muwatta, Riyadh, Al-Ma'arif Library for Publishing and Distribution.
• Ibn Hanbal, Ahmed bin Muhammad bin Hanbal, (1416 AH - 1995 AD), Al-Musnad, Cairo, Dar Al-Hadith.
• Al-Adami, Muhammad Abdullah, (1437 AH - 2016 AD), All-Encompassing Book on All-Inclusive Sahih Hadith, arranged in the chapters of jurisprudence, Al-Riyadh, Dar Al-Salam for Publishing and Distribution.
• Al-Bukhari, Muhammad bin Ismail, (1311 AH), Sahih Al-Bukhari, Egypt, Al-Kubra Al-Amiriyya Press in Bulaq.
• Al-Bayhaqi, Ahmad bin Al-Hussein Abu Bakr, (1405 AH), Evidence of Prophethood, Beirut, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.
• Al-Hakim, Muhammad bin Abdullah Ibn Al-Baya', (1411 AH - 1990 AD), Al-Mustadrak, Beirut, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.
• Al-Razi, Muhammad bin Omar bin Al-Hasan Fakhr Al-Din, (1420 AH), Keys to the Unseen, Beirut, Dar Ihya Al-Arabi Heritage.
• Al-Zayla'i, Abdullah bin Yusuf Jamal al-Din, (1414 AH), Graduation of Hadiths and Traditions in the Interpretation of Al-Kashshaf by Al-Zamakhshari, Riyadh, Dar Ibn Khuzaymah.
• Al-Suhaili, Abdul Rahman bin Abdullah, (1412 AH), Al-Rawd Al-Anf, Beirut, Dar Revival of Arab Heritage.
• Al-Suyuti, Abd al-Rahman bin Abi Bakr Jalal al-Din, (d.d.), al-Durr al-Manthur, Beirut, Dar al-Fikr.
• Al-Shawkani, Muhammad bin Ali, (1414 AH), Fath al-Qadeer, Damascus - Beirut, Dar Ibn Kathir - Dar Al-Kalam Al-Tayyib.
• Al-Suyani, Abu Omar Muhammad bin Hamad, (1424 AH - 2004 AD), The Biography of the Prophet as stated in the authentic hadiths, Obeikan Library.
• Al-Tabarani, Suleiman bin Ahmed bin Ayyub, (d.), The Great Dictionary, Cairo, Ibn Taymiyyah Library.
• Al-Awshan, Muhammad bin Abdullah, (d. T.), What was rumored and not proven in the biography of the Prophet, Dar Taybah.
• Al-Haythami, Ali bin Abi Bakr bin Suleiman, (1414 AH - 1994 AD), **Majma' al-Zawa'id**, Cairo, Al-Qudsi Library.
• Al-Waqidi, Muhammad bin Omar bin Waqid, (1409 AH - 1989 AD), Maghazi Al-Waqidi, Beirut, Dar Al-Alami.
Al-Qimni, Sayed Mahmoud, (2019), Wars of the Prophet's State, United Kingdom, Hindawi Foundation. •
• Al-Qimni, Sayed Mahmoud, (2019), Lord of the Ages, United Kingdom, Hindawi Foundation.

• Ibn Abd al-Salam, Abd al-Aziz ibn Abd al-Salam Izz al-Din, (1406 AH), The Beginning of the Soul in Favoring the Messenger, may God bless him and grant him peace, Beirut, Islamic Office.
• Al-Tayyar and Al-Shehri, Assistant to Al-Tayyar and Nuh bin Yahya Al-Shehri, (1439 AH - 2017 AD), Encyclopedia of Interpretation of the Hadith, Beirut, Dar Ibn Hazm.
• Muslim, Muslim bin Al-Hajjaj, (d.d.), Sahih Muslim, Cairo, Dar Ihya Al-Kutub Al-Arabiya.